

المسألة الأرمنية

لكاتب عثمانى

المسألة الأرمنية

لكاتب عثمانى

تناقلت الجرائد ما أشار به اللورد سالسبرى
وزير إنكلترا الأول على دولتنا العلية بواسطة
دولتلو رستم باشا سفيرنا في لندرا حيث قال إن
الدولة تُحسن العمل بتلافي المسائل الأرمنية
الناشئة عن بعض مطالب الأرمن . ولما كنت
شاغلاً نقطة مركزية ولى الإمام بأمر تتعلق علاقة
شديدة بهذه المسألة ، استحسنت أن أرفع إليكم
المطالعات الواصلة لتنشرها في مقطمكم الأغر
ليطلع عليها من لا يعلم مصادر خواطر الأرمن
وأصل مسألتهم فأقول :

أكتب إليكم من ولاية أطنة وموقعها الجغرافي
غير مجهول واسمها التاريخي كيليكية . وقد
تقلبت عليها دول شتى من اليونان والرومان
والأرمن وغيرهم . ويعلم البعض أن الحكومة
الإنكليزية عينت قناصل لها في ولايات من آسيا
الصغرى (أناطوليا) بين سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٢ حين
لم يكن لها رعايا في تلك الولايات لتُحافظ على
حقوقهم عند ميسس الحاجة . واختارت قناصلها
جميعاً من أركان حرب الجيش الإنكليزي ، وهم

أكتب إليكم من ولاية أطنة وموقعها الجغرافي
غير مجهول واسمها التاريخي كيليكية وقد تقلبت
عليها دول شتى من اليونان والرومان والأرمن
وغيرهم . ويعلم البعض أن الحكومة الإنكليزية
عينت قناصل لها في ولايات من آسيا الصغرى
(أناطوليا) بين سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٢ حين لم
يكن لها رعايا في تلك الولايات لتُحافظ على
حقوقهم عند ميسس الحاجة واختارت قناصلها
جميعاً من أركان حرب الجيش الإنكليزي وهم
لستشارين ولست قناصل جنرال أناطوليا
وكان مركزهم في سيواس وسقوت في قونية

وكوبر وبنت في أطنه مركز ولايتنا وتشرمسيد
في ولاية أيدين (أزمير) ولكنه كان مقيماً في
داخلية الولاية. واستمر هؤلاء السادة في وظائفهم
تحواربع سنين وهم لا يعملون عملاً إلا السفر في
البلاد واستطلاع أحوالها والبحث عن زراعتها

وتجارتها وهوائها وحرارتها صيفاً وشتاءً وجداولها
وإنارها وأشجارها وطبائع أهلها وعوائدهم وملهم
وأديانهم ونفوذ كل قوم بينهم وغناهم وفقيرهم
وإيراد أعشارها ورسوم جماركها ودرجة المعرفة
والجهل فيها إلى غير ذلك من أحوال البلاد
وأهلها الجغرافية والاجتماعية والسياسية والمالية
والدينية.

ثم رسم هؤلاء المهندسون الحربيون الخرائط
المدققة المستوفية التي يؤكد العارفون أنه لم يرسم
سابقاً ذلك الخرائط لنفسها لا تنشرها ولا
تشتهرها إلا متى استحسن ذلك. وقد علمت
وتحسنت أن حضرات القناصل المذكورين كانوا
مدة إقامتهم عندنا يجتمعون كثيراً برؤساء
الارمن الروحانيين ووجهاتهم. ولما أتوا رسالتهم
طروا الكتاب وسافروا وهم رافعون أكف الدعاء
للرحمن على خلقه بلا ذم ولا حيلة إلا بعد كذبهم

السر تشارلس ولسن قنصل جنرال أناتوليا وكان
مركزه في سيواس ، وستورت في قونية ، وكوبر
وبنت في أطنه مركز ولايتنا ، وتشرمسيد في
ولاية أيدين (أزمير) ولكنه كان مقيماً في داخلية
الولاية . واستمر هؤلاء السادة في وظائفهم نحو
أربع سنين وهم لا يعملون عملاً إلا السفر في
البلاد ، واستطلاع أحوالها ، والبحث عن
زراعتها وتجارتها وهوائها وحرارتها صيفاً وشتاءً
وجداولها وأنهارها وأشجارها وطبائع أهلها
وعوائدهم وملهم وأديانهم ونفوذ كل قوم منهم
وغناهم وفقيرهم وإيراد أعشارها ورسوم
جماركها ودرجة المعرفة والجهل إلى غير ذلك من
أحوال البلاد وأهلها الجغرافية والاجتماعية
والسياسية والمالية والدينية .

ثم رسم هؤلاء المهندسون الحربيون الخرائط
المدققة المستوفية التي يؤكد العارفون أنه لم يرسم
خارطة أدق منها حتى الآن . وغنى عن القول أن
جمعية من الجمعيات قد نقلت إلى الحكومة
الإنكليزية

— خارطة رسمت للأناتول فأبت حكومة
جلالة الملكة أن تُعيرها شيئاً من ذلك على
الإطلاق ، حافظت تلك الخرائط لنفسها لا تنشرها
ولا تُشهرها إلا متى استحسن ذلك . وقد

البلاد التي سماها القدماء أيام رونقها وبهجتها
بالفردوس الأرضي وبها نهرا سيحون وجيحون
المذكوران في التوراة وقد سُميت جريدتنا
الرسمية باسم أولهما سيحون

ثم حدثت الحادثة العراقية المصرية فذهب
أولئك القناصل جميعاً إلى وادي النيل حيث
تعيّن بعضهم مأموراً للمخابرات التلغرافية في
الاسميلية ثم في الحملة السودانية وتعيين بعضهم
أولاً مراقباً للحركات العراقية ثم أرسل مع الحملة
السودانية وأعني بالسرتشارلس ولسن الذي
خلف الجنرال ستورت على قيادة الجيش بعد
موقعة أبي طليح ثم ذهب لإنقاذ غوردون باشا
ولكن سبقه الدراويش فافتتحوا الخرطوم وقتلوا
غوردون واضطروه أن يعود بباخرته التي
ارتطمت بجزيرة في النيل وكادت تُوقعه ومن
معه في أيدي الدراويش. وأُرسل بعضهم وهو
ستورت مع غوردون في رحلته من لندرا إلى
الخرطوم. ثم قتل مع رفيقه وكيل فرنسا بجبانة
الدليل في شندي. ودخل آثر مسيد خدمة
الجيش المصري ثم أقيم حكاماً لسواكن وتعيين
الآن مأموراً حربياً في سفارة انكلترا بالامانة
وهي الوظيفة القديمة التي كان بها وهو ملازم
قبل أن يرسل إلى الاناضول على ما ذكرت
ومن يرقى البحث يعلم ان الارمن لم يهتموا

علمت وتحققت أن حضرات القناصل المذكورين
كانوا مدة إقامتهم عندنا يجتمعون كثيراً برؤساء
الأرمن الروحانيين ووجهائهم . ولما أتموا
رسالتهم طووا الكتاب ، وسافروا وهم رافعون
أكف الدعاء للرحمن على خلقه بلاداً جميلةً
بديعةً كهذه البلاد التي سماها القدماء أيام رونقها
وبهجتها بالفردوس الأرضي وبها نهرا سيحون
وجيحون المذكوران في التوراة . وقد سُميت
جريدتنا الرسمية باسم أولهما سيحون .

ثم حدثت الحادثة العراقية المصرية ، فذهب
أولئك القناصل جميعاً إلى وادي النيل حيث
تعيّن بعضهم مأموراً للمخابرات التلغرافية في
الاسميلية ثم في الحملة السودانية ، وتعيّن
بعضهم أولاً مراقباً للحركات العراقية ثم أرسل
مع الحملة السودانية ؛ وأعني به السرتشارلس
ولسن الذي خلف الجنرال ستورت على قيادة
الجيش بعد موقعة أبي طليح ثم ذهب لإنقاذ
غوردون باشا ، ولكن سبقه الدراويش فافتتحوا
الخرطوم وقتلوا غوردون واضطروه أن يعود
بباخرته التي ارتطمت بجزيرة في النيل ، وكادت
تُوقعه ومن معه في أيدي الدراويش . وأُرسل
بعضهم وهو ستورت مع غوردون في رحلته من
لندرا إلى الخرطوم . ثم قتل مع رفيقه وكيل

فرنسا بخيانة الدليل في شندى . ودخل تشرمسيد خدمة الجيش المصرى ثم أقيم حكمداراً لسواكن وتعيّن الآن مأموراً حربياً فى سفارة إنكلترا بالأستانة ، وهى الوظيفة القديمة التى كان بها وهو ملازم قبل أن يُرسل إلى الأناضول على ما ذكرت .

ومن يُدقق البحث يعلم أن الأرمن لم يهتموا بجمع كلمتهم وتوسيع نطاق مدارسهم وتعليم أبنائهم وبناتهم فى هذه البلاد التى لاتزال منحطّة أديباً إلا منذ احدى عشر سنة وهى أول سنة جاء بها مأمورو الدولة البريطانية إلى آسيا . وقد أخبرتكم غير مرة قبل نشر المُقطّم أن مقابلة الإنكليز دولتو نوبار باشا بالأعضاء فى سياسته المصرية ، إنما هى بالنظر إلى احتياجهم إليه فى يوم من الأيام ليعرضوه على الدولة العثمانية حتى تُعيّنه حكمداراً على البلاد الأرمنية مع قولهم أنه لا يوجد بلاد بهذا الاسم فى خريطة البلاد العثمانية لا فى آسيا ولا فى أوربا . وقد تقرر اليوم أن بين دولتو نوبار باشا وحضرة كاتوءيغوس* الأرمين المقيم فى مدينة سيس من ولايتنا مخابرات ، وأن دولته أرسل إليه منذ مدة مبلغاً من المال ليُنفق على المدارس الأرمنية مع أن الدولة العثمانية تُنفق مبالغ غير قليلة على

* كاتوءيغوس = الجائلق .

بجمع كلمتهم وتوسيع نطاق مدارسهم وتعليم أبنائهم وبناتهم فى هذه البلاد التى لاتزال منحطّة أديباً إلا منذ احدى عشر سنة وهى أول سنة جاء بها مأمورو الدولة البريطانية إلى آسيا . وقد أخبرتكم غير مرة قبل نشر المُقطّم أن مقابلة الإنكليز دولتو نوبار باشا بالأعضاء فى سياسته المصرية ، إنما هى بالنظر إلى احتياجهم إليه فى يوم من الأيام ليعرضوه على الدولة العثمانية حتى يُعيّنه حكمداراً على البلاد الأرمنية مع قولهم

أنه لا يوجد بلاد بهذا الاسم فى خريطة البلاد العثمانية لا فى آسيا ولا فى أوربا . وقد تقرر اليوم أن بين دولتو نوبار باشا وحضرة كاتوءيغوس الأرمين المقيم فى مدينة سيس من ولايتنا مخابرات ، وأن دولته أرسل إليه منذ مدة مبلغاً من المال ليُنفق على المدارس الأرمنية مع أن الدولة العثمانية تُنفق مبالغ غير قليلة على الكاتوءيغوس ومدارسه وهى رواتب مقرّرة فى ميزانيتها . أما أرمين ههنا البلاد فقد أكثروا من جمعيات الشباب التى يرأس بعضها المطرانة والكلمنة ونظموها قصائد واغاني حماسية بنشدونها فى جمعياتهم وقد ترجم لي بعض الأرس من العارفين بلقمتهم فوجدت فيها قصائد لا تخلو من اثاره الأفكار وتمزيك العواطف الى جمع الكلمة الارمنية ونحو ذلك مما يشبه قصائد الامم الحرّة .

الكاتوليغوس ومدارسه وهي رواتب مقررة في ميزانيتها .

أما أرمن هذه البلاد ، فقد أكثروا من جمعيات الشبان التي يرأس بعضها المطارنة والكهنة ، ونظموا قصائد وأغاني حماسية ينشدونها في جمعياتهم . وقد ترجم لى بعضها أناس من العارفين بلغتهم ، فوجدت فيهما قصائد لا تخلو من إثارة الأفكار وتحريك العواطف إلى جمع الكلمة الأرمنية ونحو ذلك مما يشبه قصائد الأمم الحرة . وذهب بعض هؤلاء الشبان الذين لم يطلعوا على تواريخ الأمم وأسباب ارتقائها وانحطاطها أنه يمكن جعل كيليكية مركزاً للعنصر الأرمني وإقامة حكومة إدارية له كجبل لبنان .

والسبب في تعللهم بهذه الأمانى الفارغة أن مدينة سيس في قوظان كانت قديماً قاعدة أرمنية للاون* أحد ملوك الأرمن ، كما أنها اليوم مركز دير عظيم وكرسی بطريركهم المعروف بالكاتوليغوس والذي تخضع له كنائس الأرمن ورؤساؤها في تركيا فهو أكبر رجال الدين عندهم ، ولكنه يخضع في بعض الأمور السياسية لبطريركهم في القسطنطينية .

ولهذه الأمور ولسبب ما حدث في الأستانة حديثاً من الحركات الأرمنية ، وقفت الدولة العلية لهم بالمرصاد ، ودققت المراقبة لأعمالهم ،

* لاون = ليون .

وذهب بعض هؤلاء الشبان الذين لم يطلعوا على تواريخ الأمم وأسباب ارتقائها وانحطاطها أنه يمكن جعل كيليكية مركزاً للعنصر الأرمني وإقامة حكومة إدارية له كجبل لبنان . والسبب في تعللهم بهذه الأمانى الفارغة أن مدينة سيس في قوظان كانت قديماً قاعدة أرمنية للاون احد ملوك الأرمن كما انها اليوم مركز دير عظيم وكرسی بطريركهم المعروف بالكاتوليغوس والذي تخضع له كنائس الأرمن ورؤساؤها في تركيا فهو أكبر رجال الدين عندهم ولكنه يخضع في بعض الأمور السياسية لبطريركهم في القسطنطينية ولهذا الأمور والسبب ما حدث في الأستانة كما يشأ من الحركات الأرمنية وقفت الدولة العلية لهم بالمرصاد ودققت المراقبة لأعمالهم وشدت النكير على أهل الطيش منهم ومنعت مهاجرتهم الى أوربا وأميركا حيث يذهب بعضهم للعمل في المعامل وبعضهم لدرس علم الطب وبعضهم اشترى بعض الحوادث الأرمنية في الجرائد واستعطف أهالي تلك البلاد الى مساعدتهم وتخليصهم من السلطة العثمانية . وأرى ان ذلك صادر عن تصور منهم لأنهم لا ينظرون الى عذبة مولانا السلطان بعين الحكمة والتماني فان جلالة مفرغ جهده في ادخال الإصلاحات الأساسية

الى كل اطراف سلطنته الواسعة وخصوصاً بلاد
اسيا الصغرى التي يسمونها ارمينية . ثم انالو
فيهم حكمداراً حكماً قادراً
على تولي امورهم وإدارة امورهم فهم أنفسهم

لا يتفقون على انتخابه
ثم لو اتفقوا فمن أين يأتون المال والرجال
المتعلمين للقيام بالمصالح العمومية ووظائف الإدارة
وخصوصاً في الضبط والربط . فالأجدر بهم الرضى
بالحالة الحاضرة مع المواظبة على تميم المعارف
والاقتناع بحب الدولة لم يذليل ان كثيرين من
رجالهم حاصلون على ثقة مولانا السلطان
وشاغلون لأعظم مناصب الدولة . وآراؤهم تنطبق
ولاشك على آراء بعض عقلاء الأرمن والمتقدمين
في السن والمختبرين الامور منهم فقد قالوا لي
ان ما يزعمه شياهم . وبعض رجال ذينهم من
الحصول على حكمة الإدارة أو نحوها هم من
الامور المستعصبة التي تؤخرهم عن التقدم وتزبد
نفور الدولة منهم وتفتيح باب المراقبة عليهم .

ماذا ما نقوله بشأنهم . وحبذا لو ان بعض
ذوي الحل والرباط من الولاة والتصرفين ورؤساء
المجالس والمحاكم يقرنون العدل الذي هو اساس
الملك مع رغبة حضرة السلطان الاعظم فيعبرون
المساواة في الاحكام وينجزون الاعمال بلا

وشددت النكير على أهل الطيش منهم ، ومنعت
مهاجرتهم إلى أوروبا وأميركا حيث يذهب
بعضهم للعمل في المعامل وبعضهم لدرس علم
الطب وبعضهم لنشر بعض الحوادث الأرمينية في
الجرائد واستعطاف أهالي تلك البلاد إلى
مساعدتهم وتخليصهم من السلطة العثمانية .
وأرى أن ذلك صادر عن تهور منهم لأنهم لا
ينظرون إلى عناية مولانا السلطان بعين الحكمة
والتأني فإن جلالته مفرغٌ جهده في إدخال
الإصلاحات الأساسية إلى كل أطراف سلطته
الواسعة وخصوصاً بلاد آسيا الصغرى التي
يُسمونها أرمينية . ثم إننا لو فرضنا أنهم يجدون
فيهم حكمداراً حكيماً قادراً على تولي شؤونهم
وإدارة أمورهم فهم أنفسهم لا يتفقون على
انتخابه .

ثم لو اتفقوا ، فمن أين يأتون بالمال والرجال
المتعلمين للقيام بالمصالح العمومية ووظائف
الإدارة وخصوصاً في الضبط والربط ؟ .
فالأجدر بهم الرضى بالحالة الحاضرة مع المواظبة
على تميم المعارف والاقتناع بحب الدولة لهم
بدليل أن كثيرين من رجالهم حاصلون على ثقة
مولانا السلطان وشاغلون لأعظم مناصب
الدولة . وآراؤهم تنطبق ، ولاشك على آراء
بعض عقلاء الأرمن والمتقدمين في السن

تعتيد ولا إبطاء إذ تقصير مأمور واحد قد يوجب
نفور الوف من الناس الواثقين بدراية الوالي
أورئيس المحكمة. وشواهد التاريخ لا تحصى على
أن هذه الأمور وأمثالها كانت سبب الانقلاب
في مالكة عديدة منذ بدء التاريخ إلى الآن .

ومعلوم أن إهمال الراعي يبذد الرعية وأن صغار
الأمور تولد كبارها . ولا أرى حاجة أن أحذر
عقلاء الأرمن من تشويق هذه الدولة أو
مشورة تلك ولا سيما إذا تباينت مصالحهما
وتغايرت مقاصدهما فالانقياد إلى أحدهما لا يؤمن
عواقبه والابتعاد عنهما أوفى بالأمر وأنفى للمخاوف

والمختبرين الأمور منهم ، فقد قالوا إلى أن ما
يزعمه شبانهم وبعض رجال دينهم من الحصول
على حكومة إدارية أو نحوها هو من الأمور
المستصعبة التي تؤخرهم عن التقدم ، وتزيد نفور
الدولة منهم ، وتفتح باب المراقبة عليهم .

هذا ما نقوله بشأنهم ، وحبذا لو أن بعض
ذوى الحل والربط من الولاة والمتصرفين ورؤساء
المجالس والمحاكم يقرنون العدل الذي هو أساس
الملك مع رغبة حضرة السلطان الأعظم فيجرون
المساواة في الأحكام وينجزون الأعمال بلا تعقيد
ولا إبطاء ؛ إذ تقصير مأمور واحد قد يوجب
نفور أوف من الناس الواثقين بدراية الوالي أو
رئيس المحكمة . وشواهد التاريخ لا تحصى على
أن هذه الأمور وأمثالها كانت سبب الانقلاب في
ممالك عديدة منذ بدء التاريخ إلى الآن . ومعلوم
أن إهمال الراعي يبذد الرعية ، وأن صغار الأمور
تولد كبارها . ولا أرى حاجة أن أحذر عقلاء
الأرمن من تشويق هذه الدولة أو مشورة تلك
ولاسيما إذا تباينت مصالحهما ، وتغايرت
مقاصدهما ، فالانقياد إلى أحدهما لا يؤمن
عواقبه ، والابتعاد عنهما أوفى بالأمر وأنفى
للمخاوف .